الجملة الاسمية والفعلية ودلالاتهما في النصف الأول من الجزء العشرين من القرآن الكريم

أ. شيخة عبد الله الزعابي

المقدمة:

القرآن الكريم هو المعين الذي لا ينضب، والمتأمل في نصه الحكيم يجد فيه من الفوائد واللطائف والمعارف ما يملأ القلب خضوعا والبصر خضوعا والبصيرة يقينا، وإن الوظيفة النحوية ودلالتها تنسجم مع تلك القيمة الكبرى للنص القرآني، فالتماسك النصي والبناء الدلالي المعجز يؤكد على أن كل كلمة منه، بل كل حرف وحركة يمكن أن تتجلى فيه حكمة شديدة الجلاء، من هذا المنطلق كان بحثي في البناء النحوي الدلالي في النص الأول من الجزء العشرين من القرآن الكريم.

وقد تناولت في البحث بعض النماذج لتراكيب الجملتين الاسمية والفعلية ودلالاتهما في سورتي النمل والقصص، وهما تقعان في النصف الأول من الجزء العشرين من القرآن الكريم، مع مراعاة أثر تناظر بعض تراكيب الجملتين الاسمية والفعلية في هذا النصف من هذا الجزء مع سور أخرى.

منهج البحث:

يستند البحث إلى منهجين أساسين، هما: الأول: المنهج الاستقرائي بهدف استقراء الظاهرة النحوية. الثاني: المنهج التحليلي بهدف الوقوف على أثر التركيب ودلالته وعلاقته بالسياق والمعنى.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على القيم الدلالية الكامنة في بعض الجمل الاسمية والفعلية في بناء التركيب اللغوي، والعمل على استجلاء ذلك على اختلاف أشكالهما. وإلى بيان الدور الدلالي الكامن وراء استخدام هاتين الجملتين في سياقاتهما المختلفة من خلال التطبيق على آيات النصف الأول من القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تناول التراكيب النحوية بالدراسة الدلالية طريقة من طرق بيان إعجاز القرآن الكريم الذي يكمن في نظمه المعجز. التأكيد على أن التراكيب النحوية لها دلالات في مواضع وسياقات لا تؤدى إلا بها، وإن وضع غيرها في موضعها تغير المعنى وخرج عن المقصود. كما أن دراسة التراكيب النحوية دلاليا تساعد على التحليل الدقيق واستنباط الأحكام، وفهم المعنى.

الموضوعات الرئيسة التي يحتوي عليها البحث:

وتأتي هذه الدراسة في ثلاثة مباحث، تسبق بمقدمة وتمهيد وتلحق بخاتمة تتضمن خلاصة البحث.

مقدمة وتمهيد:

- المبحث الأول: الجملة الاسمية ودلالاتها.
- المبحث الثاني: الجملة الفعلية ودلالاتها.
- المبحث الثالث: التناظر بين الآيات ودلالاته.

خاتمة البحث: خلاصة البحث وأهم نتائجه.

التمهيد:

لقد كان للتحليل اللغوي في الدرس اللغوي القديم والحديث أهمية بالغة لدى اللغويين، سواء كان هذا التحليل اللغوي على المستوى النحوي التركيبي، أم المستوى الصرفي، أم المستوى المعجمي الدلالي. فظهرت هذه المستويات الثلاثة عند متقدمي النحاة واللغويين والمفسرين، وحفلت كتبهم وتفاسيرهم بهذه المستويات؛ وكان المستوى النحوي التركيبي في مقدمة هذه المستويات الثلاثة؛ إذ إن التراكيب النحوية تعد أحد أهم مستويات هذا التحليل التي تسهم بشكل كبير في بناء الهيكل الدلالي للتركيب؛ ولقد جاء أثر هذا المستوى بصورة واضحة جلية في النص العربي عامة، والقرآن الكريم على

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

وجه الخصوص؛ ذلك لأن الدلالة بصفتها إحدى مستويات النظام اللغوي لا تنفصل عن سائر المستويات؛ بل هي الخيط الذي تنتظم فيه سائر المستويات الأخرى من أجل إنتاج المعنى. وإنّ النصّ القرآنيّ كان ولا زال وسيظل حقلا خصبا للمعارف وللمعاني ودلالاتها، ولغة ثرة، ومعينا يمكن من خلاله استجلاء القيم الدلالية للتراكيب النحوية، وأثرها في توليد المعاني وإنتاجها، فسور القرآن نظم من الدرر في عقد واحد، كيفما وجهت وجهك تلقاء واحدة منها راعك حسن نظمها وإعجاز بيانها، ومن هنا تبرز أهمية تأمل السياق التركيبي ودلالاته في القرآن الكريم، الأمر الذي يسهم في التوصل إلى الفهم العميق لمعاني القرآن الكريم، وهذا الفهم يسهم في تدبر آيات القرآن الكريم والتفكر في شيء من دلائل إعجازه.

المبحث الأول: الجملة الاسمية ودلالاتها.

أولا: من التراكيب التي جاء فيها المبتدأ نكرة:

قال تعالى: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [النمل:٨٩]

التركيب النحوي:

الفاء رابطة، والجار والمجرور خبر مقدم (فَلَهُ) + مبتدأ مؤخر (خَيْرٌ) + جار ومجرور متعلقان بخير (مِنْها)، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط لقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة﴾.

الدلالة:

من جاء بجنس الحسنة يوم القيامة ﴿فله﴾ من الجزاء والثواب عند الله ﴿خير﴾ أي أفضل (منها) وأكثر، قال النسفي: " فَلَهُ خَيْرٌ حاصلٌ من جِهَتِها وهو الجَنَّةُ، وعَلى هَذا لا يَكُونُ خَيْرٌ بِمَعْنى أفْضَلَ ويَكُونُ "منها" في مَوْضِعِ رَفْعِ صِفَةِ الخَبَرِ أيْ: بِسَبَبِها" (١)، وقال الألوسي: "إنَّ خَيْرًا لَيْسَ لِلتَّفْضِيلِ ومِن لِابْتِداءِ الغايَةِ أيْ فَلَهُ خَيْرٌ مِنَ الخُيُورِ مَبْدَؤُهُ ومَنشَؤُهُ منها أيْ مِن جِهَةِ الحَسَنَةِ " (٢).

جاء المبتدأ ﴿خير﴾ نكرة في هذا التركيب، وله دلالات منها:

١- التكثير: قال أبو السعود: " باعْتِبارِ أنَّهُ أضْعافُها "(٣)، والذي قوى دلالة الكثرة قوله تعالى: ﴿منها﴾، قال البقاعي: " منها أي: مُضاعَفًا، أقَلُّ ما يَكُونُ عَشْرَةُ أضْعافٍ إلى ما لا يَعْلَمُهُ إلّا اللَّهُ "(٤)، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس قوله: " فله خير منها، قال: خير ثواب"(٥)، وقال الزمخشري: " فله خير منها يريد الإضعاف، وأن العمل يتقضى والثواب يدوم، وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد"(٦).

٢- التعظيم: فالثَّوابَ خَيْرٌ مِنَ العَمَلِ، يقول الرازي: ذلك " من حَيْثُ إنَّ الثَّوابَ دائِمٌ والعَمَلَ مُنْقَضٍ؛ ولِأنَّ العَمَلَ فِعْلُ العَبْدِ، والثَّوابَ فِعْلُ اللَّهِ تَعالى"(٧).

٣- العموم: يمكن أن يكون تنكير ﴿خير﴾ للدلالة على أنه ينال عموم الخير، وليس منحصراً بخيرٍ محدد.

ثانيا: من التراكيب التي جاء فيها المبتدأ اسم إشارة.

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [القصص ٢]

التركيب النحوي:

مبتدأ ﴿تِلْكَ﴾ + خبر ﴿آياتُ﴾ + مضاف إليه ﴿الْكِتابِ﴾ + صفة ﴿الْمُبِينِ﴾.

الدلالة:

جاء هذا التركيب ثناءً للقرآن وتأكيداً على أهميته، فالإشارة بـ (تلك) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آياتُ الكِتابِ المُبِينِ﴾ يحتمل أن تكون إشارة إلى آيات هذه السورة، وأن تكون إشارة إلى ما تقدَّم هذه السورة من آيات القرآن، إذن الإشارَةُ هنا إلى الحاضِرِ في الأذْهانِ من آيات القُرْآنِ المُنَزَّلِ من قَبْلُ، وبَيَّنَهُ الإخْبارُ عَنِ اسْمِ الإشارَةِ بِأنَّها آياتُ الكتابِ. يقول ابن عاشور: " اسْمُ الإشارَةِ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ مُرادًا بِهِ جَمِيعُ آيِ القُرْآنِ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَ هَذِهِ السُّورَةِ باعْتِبارِ حُضُورِ تِلْكَ الآياتِ في أذْهانِ النّاسِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وغَيْرِهِمْ"(٨).

وقد أفاد ذكر اسم الإشارة (تلك) الدلالات الآتية:

١- التعظيم، يقول ابن عاشور: " تَنْوِيهًا بِشَأْنِ القُرْآنِ وأنَّهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ" (٩)؛ إذْ كانَ الكِتابُ هو أعْظَمُ المُعْجِزاتِ وأكْبَرُ الآياتِ البَيِّناتِ.

٢- البعد، للتَّنْبِيهِ عَلى بُعْدِ مَنزِلَةِ المُشارِ إلَيْهِ في الفَخامَةِ. يرى الألوسي أنّ اسم الإشارة (تلك) نُزِّلَ مَنزِلَةَ البَعِيدِ: " لِأنَّهُ لَمّا وصَلَ مِنَ المُرْسِلِ إلى المُرْسَلِ إلَيْهِ صارَ كالمُتَباعِدِ " (١٠).

٣- التحدي، ومَعْنى الإشارَةِ إلى آياتِ القُرْآنِ قَصْدُ التَّحَدِّي بِأجْزائِهِ تَفْصِيلًا كَما قُصِدَ التَّحَدِّيَ بِجَمِيعِهِ إجْمالًا(١١)، والمَعْنى: هَذِهِ آياتُ القُرْآنِ تُقْرَأُ عَلَيْكم وهي بِلُغَتِكم

وحُرُوفِ هِجائِها فَأْتُوا بِسُورَةٍ من مِثْلِها.

ثالثا: من الجمل الاسمية المنسوخة (تراكيب جاء فيها اسم إنّ معرفة وخبرها نكرة مخصصة):

قال تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل ٧٣]

التركيب النحوي:

الواو حرف استئناف وإن واسمها ومضاف إليه (وَإِنَّ رَبَّكَ) + اللام المزحلقة وخبر إن وهو مضاف (لَذُو) مضاف إليه (فضل) + جار ومجرور متعلقان بفضل، (عَلَى النَّاسِ)، والجملة مستأنفة لا محل لها + الواو حرف عطف ولكن حرف مشبه بالفعل (وَلَكِنَّ) + اسم لكن وضمير متصل مضاف إليه (أَكْثَرَهُمْ) + نافية (لا) + فعل مضارع والجملة الفعلية خبر لكن (يَشْكُرُونَ).

الدلالة:

أولاً: جاء التركيب في جملة ﴿إنّ ربك لذو فضل﴾ من حرف ناسخ (إنّ) واسمه وخبره، وجاء اسم إنّ (رب) معرفاً بإضافته إلى الكاف، وهو يعود على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد دلّ هذا التعريف على أنّ المقصود أنه عرّف رسوله كونه رباً، والرب هو الذي يربي المربوب، ويقوم بإصلاح مهماته، ودفع حاجاته على مقدار الصلاح والفائدة(١٢).

كما دلّ هذا التعريف على أن الرسول في عناية ربه، فهو مدبر أمره، وهو يحميه من كيد المشركين، وأنه سبحانه بيّن السبب في ترك تعجيل العذاب، فقال: ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ وذلك بإسْبَاغِه نعمَه عَلَيْهِمْ مَعَ ظُلْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَشْكُرُونَهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ.

أما التعبير بالخبر نكرة مخصصة بـ ﴿ذو فضل﴾ فقد أفاد دلالة على:

١- أن الفضل من شؤونه سبحانه، يقول ابن عاشور: "والتعبير بذو فضل، يدل على أن الفضل من شؤونه "(١٣)، وأنه فضل خاص بالله تعالى، في ذلك تكريم لمن يمنحهم ذلك الفضل، لأنه لا فضل يعلو فضل الله تعالى.

٢- مجيء المضاف إليه ﴿ فضل﴾ نكرة أفاد التعظيم، مما قوى الدلالة على أنه سبحانه هو صاحب الفضل عليهم بتأخير عقوبتهم.

٣- دلّ تنكير كلمة ﴿ فضل﴾ التي أضيف إليها الخبر ﴿ ذو﴾ أيضاً على العموم، فالله تعالى صاحب الفضل في الدليل الذي ساقته الآية - ليس فقط في تأخير العقوبة- وإنما في كل شيء، يقول الشوكاني: " الأولى أن تُحمل الآية على عموم الفضل، ويكون تأخير العقوبة من جملة أفضاله سبحانه وإنعامه "(١٤). كما أن الآية تحمل معنى أن نعمة الله تعم الكافر والمؤمن -أي العموم من جهة العباد- والذي دلّ عليها (لكن) استدراك ناشئ عن عموم الفضل منه تعالى فإن عمومه وتكرره يستحق بأن يعلمه الناس، فيشكروه ولكن أكثر الناس لا يشكرون. قال ابن عادل: " وهذه الآية تبطل قول من قال لا نعمة لله على كافر" (١٥).

ثانياً: التأكيد بـ (إن) و(اللام) في ﴿ إنّ ربك لذو﴾ منظور فيه إلى حال الناس لا إلى حال النبي-صلى الله عليه وسلم- لأنه عليه الصلاة والسلام كثير الشكر لله تعالى، فالتأكيد واقع موقع التعريض بهم بقرينة قوله ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾(١٦)، فهو مناسب لحالهم؛ إذ إنهم قليل ما يشكرون لأجل ذلك فإن الله تعالى يؤكد لهم فضله وعطاءه ليشكروه حق شكره.

رابعا: من مكملات الجملة الاسمية (من التراكيب التي جاءت فيها الصفة):

قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [القصص ٢]

التركيب النحوي:

مبتدأ ﴿تِلْكَ﴾ + خبر ﴿آياتُ﴾ + مضاف إليه ﴿الْكِتابِ﴾ + صفة ﴿ الْمُبِينِ﴾.

الدلالة:

١- جاء الكلام متضمناً وصفَ الكتاب بـ ﴿الْمُبِينِ﴾.فقد عظّم الله تعالى كتابه بوصفه بالمبين. وأشار سبحانه إلى كتابه الكريم بأنه بيّن واضح نيّر، لا لبس فيه ولا غموض، وقد جاءت هذه الآية بعد ذكر الحروف المقطعة للإشارة إلى مادة هذا الكتاب، وأنه مؤلف من أمثال هذه الحروف. وقد يقصد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ أو القرآن المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم(١٧)، فالتَّعْرِيفُ في ﴿الْكِتابِ﴾ لِلْعَهْدِ. ويَجُوزُ جَعْلُ التَّعْرِيفِ دالًّا عَلى مَعْنى الكَمالِ في

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الجنس، كما تقول: أنت الرَّجُلُ(١٨). ومجيئه معرفاً بأل قوّى دلالة وصفه بـ ﴿الْمُبِينِ﴾ يقول أبو حيان: " والمُبِينُ إمّا البَيِّنُ في نَفْسِه الظّاهرُ أمْرُهُ في إعْجازِ العَرَبِ وتَبْكِيتِهِمْ، وإمّا المُبِينُ الحَلالَ والحَرامَ والحُدُودَ والأحْكامَ وما يُحْتاجُ إلَيْهِ مِن أمْرِ الدِّينِ"(١٩).

٢- ذكر الرازي دلالات أخرى لوصف القُرْآنُ بكونه (مُبِينًا) دون صفة أخرى، منها(٢٠):

أ- أنَّ القُرْآنَ معجزةٌ قاهرَةٌ وآيةٌ بَيِّنَةٌ لِمُحَمَّد صلى الله عليه وسلم.

ب- أنَّهُ بيَّنَ فيه الهُدى والرُّشْدَ، ولمّا ذكرت هَذِهِ الأشْياءُ فيه كانَ الكِتابُ مُبِينًا لَهَا.

ج- أنَّهُ بُيِّنَتْ فيه قِصَصُ الأوَّلِينَ وشُرِحَتْ فيه أحْوالُ المُتَقَدِّمِينَ.

٣- إن دلالة كلمة ﴿الْمُبِينِ﴾ لا تقتصر على واحدة دون غيرها مما ذكره الإمام الفخر الرازي، بل إن القرآن يجمع تلك الأمور كلها، فهو بيّن بفصاحته، ودليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه أخبار الأولين والآخرين، وغير ذلك من الأمور التي يشملها هذا الكتاب العزيز، الذي لا تنقضي عجائبه إلى يوم القيامة.

٤- نلاحظ أن القرآن الكريم قد جاء في هذا الموضع بصفة ﴿الْمُبِينِ﴾ وقد ورد في غيرها من المواضع صفات أخرى للكتاب، مثل: (الحكيم)، (العزيز)، (المجيد)، فما العلة؟

لعل صفة المبين هي الأنسب في هذا الموضع؛ إذ إن الإبانة والوضوح هو المطلب الأهم في تلك الفترة من الدعوة، وقد ثبت أن سورة القصص نزلت في مكة، فقد أخرج الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ الْقَصَصِ بِمَكَّةَ. وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ مِثْلَ ذَلِكَ(٢١)، وفي سردها للقصص ما يناسب طبيعة السورة والمقصود منها في تلك المدة من الوحي، فكان القصد بالإبانة أقرب وأدل من القصد بتأكيد حكمته، فهو البَيِّنُ في نَفْسِه الجامِع المُعْجِز الذي لا يَشْتَبِهُ عَلى العَرَبِ بوَجْه، وهو المُوَضِّح لجَمِيعِ ما حَوى، وهو جَمِيعُ المُرادات لِمَنْ أمْعَنَ التَّدَبُّرَ وأنْعَمَ التَّفْكِيرَ، ولأنَّ المَقَامَ هُنَا مَقَامُ التَّنْوِيهِ بِالْقُرْآنِ وَمُتَّبِعِيهِ الْمُؤْمِنِينَ، إذْ كانَتِ القِصَصُ الَّتِي تَضَمَّنَتْها هَذِهِ السُّورَةُ مُفَصَّلَةً مُبَيِّنَةً. ولأن الإبانة متناسبة مع صفة الكتاب لأنّ الإبانة بليغة الدلالة على الظهور والنصاعة في تلك المدة. أما لو قيل: (الكتاب الحكيم) فمن أين لهم أن يعرفوا حكمته. أو العزيز فمن أين لهم أن يعرفوا عزه ولأنكروا ذلك رأسا، فقيل لهم: (الكتاب المبين) وهم لفصاحتهم لا يستطيعون إنكار إبانته(٢٢). والله جل وعلا وصف كلامه بصفة يعرفها أهل مكة أكثر من سواهم لاشتهارهم بهذا فكأن القرآن أراد أن يهديهم ببيانه ووضوحه، فإما أن يحكموا عقلهم فيؤمنوا لنصاعة بيانه ووضوح حججه، وإما أن يضلوا ويحيدوا فيتحداهم بتأكيد حكمة الكتاب وعزته في المواضع اللاحقة في النزول.

المبحث الثاني: الجملة الفعلية ودلالاتها.

أولا: من التراكيب التي جاء فيها الفعل مضارعاً:

قال تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [القصص٤]

التركيب النحوي:

فعل مضارع فاعله مستتر ﴿يُذَبِّحُ﴾ + مفعول به وضمير متصل في محل جر بالإضافة ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾.

الدلالة:

يتجسد من خلال هذه الآية فساد فرعون، وقد كان سبباً في هلاكه وهلاك ملكه، فقد بينت الآيات جملة من الصفات الفاسدة التي كان يتصف بها فرعون، وكانت سببا في هلاكه، ومنها: القتل. فقد عبَّر عن الذبح بالفعل المضارع المضعَّف ﴿يُذَبِّحُ﴾ ليدل على التكثير، أي: يَذبح بعضهم إثر بعض(٢٣)، وفي ذلك فائدتان:

الأولى: أن المضارع يفيد حدوث هذا الذبح وتجدده مرة بعد مرة، كلما جاء موجبه، وهو ولادة المولود الذكر من بني إسرائيل.

الثانية: أن في التضعيف إفادة التكثير، أو المبالغة في هذا الفعل.

ثانيا: من التراكيب التي جاء فيها الفعل أمراً والفاعل ضميراً مستتراً.

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل ٥٩]

التركيب النحوي:

فعل أمر وفاعله ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت ﴿قُلِ﴾ + مبتدأ ﴿الْحَمْدُ﴾ + خبر ﴿لِلَّهِ﴾.

الدلالة:

جاء الفعل بصيغة الأمر والفاعل ضميراً مستتراً تقديره أنت، ولهذا الأمر الدلالات الآتية:

١- وجوب الحمد على الدوام فهي تفيد

طلب الفعل والمداومة عليه(٢٤).

٢- تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما استوفى الله عز وجل ذكر عواقب بعض الأمم التي كذبت بالرسل، وهي أشبه أحوالاً بأحوال المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، أمر الرسول بحمد الله على ذلك باعتبار ما أفاده سوق تلك القصص من الإيماء إلى وعد الرسول بالنصر على أعدائه، قال ابن عاشور: "قد تضمن قوله تعالى ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يلقاه من المكذبين" (٢٥).

٣- في صيغة الأمر هذه تعليم حسن، وتوقيف على أدب جميل، وبعث على التيمن بالذكرين، والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقي إلى السامعين وإصغائهم إليه، وإنزاله في قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمِع، ولقد توارث العلماء والخطباء هذا الأدب فحمدوا الله وصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم أمام كل علم مفاد، وقبل كل موعظة وتذكره وفي مفتتح كل خطبة(٢٦).

ثالثاً: من مكملات الجملة الفعلية (الإضافة):

من التراكيب التي جاء فيها المضاف إليه ضمير جمع للخطاب.

قوله تعالى: (مِنْ قَرْيَتِكُمْ)[النمل ٥٦].

التركيب النحوي:

جار ومجرور متعلقان بالفعل أخرجوا (مِنْ قَرْيَتِكُم).

الدلالة:

جاء المضاف جاراً ومجروراً، والمضاف إليه ضميراً متصلاً (مِنْ قَرْيَتِكُمْ)، وأشارت هذه الإضافة إلى:

١- الاستعلاء والتكبر: ففي التعبير بقولهم (مِنْ قَرْيَتِكُمْ)إشارة إلى غرورهم وتكبرهم وتماديهم في الخبث؛ قال الطنطاوي: "فكأنهم يعدّون لوطا وأهله المؤمنين دخلاء عليهم، ولا مكان لهم بين هؤلاء المجرمين لأن القرية - سدوم- هي قريتهم وحدهم، دون لوط وأهله"(٢٧).

٢- التهوين بأمر الإخراج: ذكر الألوسي أن إضافة (القرية) إلى (كم) تهوين لأمر الإخراج(٢٨).

٣- الامتنان: قال البقاعي: "من قريتكم) منًا على لوط بإسكانه عندهم" (٢٩).

٤- التخصيص: إن في إضافة (قرية) إلى ضمير الجمع (كم) شيئاً من التخصيص؛ فكأنهم أشاروا إلى تخصيص هذه القرية بهم وحدهم، فهم يقولون: إن هذه القرية خاصة بنا، فأخرجوا آل لوط لأنهم ليسوا من أهل هذه القرية، فكأن لوطا ومن آمن معه أصبحوا ليسوا من أهلها، مع أن لوطاً أخوهم ومنهم في النسب، كما جاء في آية أخرى (إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون)[الشعراء ١٦]، فكأنهم بتخصيص القرية بهم من خلال إضافتها إلى ضمير الخطاب، قد أنكروا أخوة لوط لهم، لأنه خالفهم في دينهم وسلوكهم .

يبدو لي أن سياق الآيات يناسبه إضافة القرية إلى ضمير الجمع للمخاطب (كم)، فكأن القرية لهم وخاصة بهم دون لوط ومن آمن معه، فكأنهم يقولون: إن هذه القرية هي قريتنا، وليس لهم مقام فيها ما داموا قد خرجوا عن ديننا وسلوكنا، فآل لوط قلة، ونحن كثرة، وما دام قد وقع الخلاف بيننا فما كان للقلة أن تتحكم في الكثرة، أو تخضع لها، وإذا كانت القرية لا تحتملنا وتحتملهم على هذا الخلاف الذي بيننا وبينهم، فليخرجوا منها مكرهين، غير مأسوف عليهم.

المبحث الثالث: التناظر بين الآيات ودلالاته.

أولا: التناظر بين سورتي النمل والمؤمنون:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النمل ٦٨]

في هذه الآية قُدم اسم الإشارة المفعول به ﴿هذا﴾ على ﴿آباؤنا﴾ وهي معطوف على نائب الفاعل وهو في الأصل مفعول به، وذلك للإشعار بأهمية المتقدم في هذا السياق، فبيّن سبحانه اعتقاد الجاحدين باستبعاد أن تبعث أجسادهم من القبور، وأن هذا الكلام قد قيل لهم ولمن قبلهم ولم يظهر له أثر، فهو إذن من أساطير الأولين، وقد جاء سياق سورة المؤمنون بتقديم ﴿آباؤنا﴾ على ﴿هذا﴾ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هذا﴾[المؤمنون: ٨٣]، فما الفرق؟

لما كانت العناية في آية النمل بالإيقان بالبعث قدّم قوله: ﴿هذا﴾ أي الإخراج من القبور (البعث) على قوله: ﴿نحن وآباؤنا﴾ بخلاف ما سبق في سورة المؤمنون؛ إذ كان الاهتمام بالمبعوث، أي كون أنفسهم تراباً

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

وعظاماً، وهذا التقديم والتأخير أفاد تقرير إنكار المشركين بالبعث، وإصرارهم على أنهم لن يُبعثوا بعد الموت، وحجتهم في ذلك أنهم لم يحصل ذلك لآبائهم الذين ماتوا، وأضاف الزمخشري أن " التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المعتمد بالذكر وأن الكلام سيق لأجله" (٣٠)، وإلى ذلك ذهب عدد من المفسرين(٣١).

وللدكتور فاضل السامرائي لمسة بيانية في هذا المقام إذ قال في تقديم ﴿هذا﴾ في آية (النمل) وتأخيرها في آية (المؤمنون): " الجهة المنظور فيها في آية النمل كونهم أنفسهم وآباؤهم تراباً، والجهة المنظور فيها في آية المؤمنون كونهم تراباً وعظاماً، ولا شبهة أن الأولى أدخلُ عندهم في تبعيد البعث؛ ذلك أن البِلَى في الحالة الأولى أكثر وأشد، وذلك أنهم أصبحوا تراباً مع آبائهم، وأما في الآية الثانية فالبلى أقل؛ وذلك أنهم تراب وعظام، فلم يصبهم ما أصاب الأولين من البلى، ولذا قدم (هذا) في الآية الأولى لأنه أدعى إلى العجب والتعبيد" (٣٢)

ثانياً: التناظر بين سورة القصص وسورة يس

جاء في آية سورة القصص (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)الآية ٢٠. وجاء تركيب نظير لهذا التركيب في سورة يس (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)الآية ٢٠، ولدى الموازنة بين هذين التركيبين نجد الآتي:

وقع تقديم وتأخير في كلمة (رجل) فما الدلالة في كلا التركيبين؟ ومن الملاحظ أن كلا من الآيتين رقمها (٢٠) في موضعها من السورة، وهي لفتة جميلة!

١- إن مجيء (رجل(قبل (مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ(في سورة القصص قال تعالى: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ(هو الترتيب الطبيعي من حيث الصناعة النحوية، فعادة ما يكون الفاعل عقب الفعل من دون فاصل في لغة العرب.

٢- في سورة القصص تقديم كلمة (رجل(دلّ على أنّ هذا الرجل مقصود من الآية، وأن التركيز هنا يكون على الفعل الذي قام به، وهو أنه حذّر موسى، وجاء يسعى من أقصى المدينة، فالسياق قدّم الاهتمام بالرجل الذي عرّض نفسه للمخاطرة، وركز على رجولة هذا الناصح وشجاعته، فكونه يفصح عن مراد ومخطط فرعون لقتل موسى عليه السلام، ويكشف عما يدور في الخفاء ومن وراء الكواليس، فهذا بحد ذاته جرأة تستوجب التقدير والتنويه. لأنه قد يترتب على ذلك العقوبة أو حتى القتل!

٣- ليس هناك من داع لتقديم (مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ(على اعتبار أن الخبر الذي جاء به الرجل سيكون من أطراف المدينة وأقصاها الذي هو مكان سكنى فرعون وزبانيته عادة، فتسريب الخبر وانتشاره إنما كان من هناك هذا هو الشيء المنطقي. يقول ابن عاشور – رحمه الله –: " والظاهر أن أقصى المدينة هو ناحية قصور فرعون وقومه، فإن عادة الملوك السكنى في أطراف المدن توقيا من الثورات والغارات؛ لتكون مساكنهم أسعد بخروجهم عند الخوف"(٣٣)

٤- أما في سورة يس فإن كلمة (رجل(دلّت على أنّ هذا الرجل ما جاء ليحذّر، وإنما جاء ليدعم المرسلين. جاء ليقوي التبليغ في الدعوة. فلما يأتي ليقويّ التبليغ في الدعوة يعني أنه كان مؤمناً، إذن هذه شهادة أن الرسالة التي جاء بها الأنبياء –عليهم السلام –آتت أكلها إذ بلغت أقاصي المدينة وأطرافها، فالمكان هنا أهمّ من الرجل؛ حتى يفهم القارئ أن هؤلاء المرسلين بلّغوا الدعوة ونشروها بحيث وصلت إلى أقصى المدينة، فقال (وجاء مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ(، فالعناية بالمكان هنا مقدمة، ليدل على بعد المكان الذي جاء المؤمن منه، ليدل على اشتغالهم بالدعوة بحيث وصلت إلى الأماكن البعيدة بأقصى المدينة، وهذا هو الفارق لذلك كان هنا المكان أهم حتى يُظهر جهدهم وما بذلوه في نشر للدعوة.

٥- الإشارة إلى أن أطراف المدينة فيها من الخير والصلاح مما لا يوجد في أوسطها وقلبها، وأن فيهم من الاستقلال بالرأي والاعتداد بالتفرد ما لا يوجد في قلب المدينة ووسطها. يقول ابن عاشور – رحمه الله –: " وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل ربض المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة؛ لأن قلب المدينة هو مسكن الملأ وأحبار اليهود، وهم أبعد عن الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إليه الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها؛ لتعلقهم بهم وخشيتهم

بأسهم، بخلاف أطراف سكان المدينة فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلة الاكتراث بالآخرين؛ لأن سكان أطراف المدينة أقرب من البدو، وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة؛ إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة" (٣٤).

٦- الإشارة إلى فضل الرجل المؤمن وعظم منزلته؛ إذ إنه قطع مسافة طويلة قادما من أقصى المدينة وأطرافها معلنا اعتقاده بالدين الجديد، ومبينا موقفه من الرسل، ولعل هذا السبب في التعبير عن القرية بالمدينة – حيث قال في البداية (واضرب لهم مثلا ١أصحاب القرية)، ثم قال بعد ذلك (مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ)ما يشير إلى بعد الشُّقة والمسافة التي قطعها(٣٥). قال الخفاجي: " قدم الجار والمجرور على الفاعل الذي حقه التقديم بيانا لفضله؛ إذ هداه الله تعالى مع بعده عنهم وإن بعده لم يمنعه عن ذلك؛ ولذا عبر بالمدينة هنا بعد التعبير بالقرية إشارة إلى السعة، وأن الله تعالى يهدي من يشاء سواء قرب أو بعد، وقيل: قدم للاهتمام حيث تضمن الإشارة إلى أن إنذارهم قد بلغ أقصى المدينة؛ فيشعر بأنهم أتوا بالبلاغ المبين" (٣٦).

ثالثاً: التناظر بين سورة النمل والأعراف والعنكبوت:

قال تعالى في قصة لوط عليه السلام في مطلع آيات سورتي الأعراف والنمل: (أتأتون الفاحشة)، وجاء تركيب نظير لهذا التركيب في سورة العنكبوت قال تعالى: (أئنكم لتأتون الفاحشة)، ولدى الموازنة بين هذين التركيبين نجد الآتي:

١- في سورتي الأعراف والنمل: (أتأتون الفاحشة(، جاءت الهمزة للاستفهام، والمقصود به الإنكار والتعظيم في توبيخهم على الفاحشة التي لم يأتها أحدٌ غيرهم، ولما كان قد تقدم ذكر قوم نوح وهود وصالح في سورة الأعراف، وذكر تكذيبهم ومعاندتهم الرسل وخطاياهم، ثم خص بالذكر من تلك الخطايا أقبحها مما استوجبوا به العذاب؛ قيل لقوم لوط عليه السلام: إن هؤلاء المكذبين من قبلكم على سوء مرتكباتهم لم يسبقوكم إلى ما أنتم عليه، وقد سمعتم بهم، وخلت من قبلكم المثلات، فناسب ما قدّم من أحوال مَن قبلهم في هذه السورة، وذكر تلك الأحوال على التفصيل توبيخ قوم لوط بقبيح جريمتهم، فكأنه قد قيل لهم: هذه قصص من تقدمكم وذكر جرائمهم التي أخذوا بها، ومع ذلك لم يقع منهم ما وقع منكم من جريمة شنعاء، فقد أتيتم فعلا شنيعا لم يسبقكم به أحد منهم.

٢- قيل لهم في سورة النمل: (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون)، فزيدت بقوله (وأنتم تبصرون)أي تدركون فحشها ببصائركم وأمرها غير خاف على كل ذي عقل، فهل يصدر هذا إلا عن معاند متصف بالجهل الشديد؟ وقيل إنهم كانوا يجاهرون بها، ولا يستحيى بعضهم من بعض فالمراد بقوله: (وأنتم تبصرون (أي ترون ذلك بأعينكم، فلا يستتر بعضكم من بعض تهكما واستهتارا.

٣- لما لم يتقدم في سورة النمل تفصيل أحوال أمم المكذبين وأخذهم بذنوبهم، فقيل: (وأنتم تبصرون (، كأن لم يتعرفوا حال من تقدمهم، فعدل عن توبيخهم إلى ضرب آخر من التوبيخ لم يكن قد نص عليه في الأعراف من بيان جرم ما اقترفوه، وأنه غير خاف، فقيل: (وأنتم تبصرون (أي أن من شأن من له عقل أو بصر أن يكتفى بعقله وإبصاره في تمييز ما يشنع.

٤- تقدم في هذه السورة قوله في قصة موسى عليه السلام: (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة(، فقد تكرر ذكر لفظة مشتقات (البصر) فلما تقدم هذا ناسبه في قصة لوط عليه السلام قوله: (وأنتم تبصرون).

٥- أما في سورة العنكبوت، فلما تقدم في سورتي الأعراف والنمل تقريعهم وتوبيخهم وعرفوا بذلك مرة بعد مرة؛ وردت قصتهم في العنكبوت مؤكدة بأن واللام وذلك لثبوتها، فقصد بها تفصيل ما أشير إليه في الأعراف من منكر فعلوه، فقيل: (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر).

٦- كان للترتيب دلالة أيضا، فجاء ذكر الآيات – بحسب الترتيب في السور والآيات – فذكر أفحش مرتكباتهم، ثم أجمل القول في سائر جرائمهم ثم أتبع في السورة الثانية بشنيع

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

حالهم في تلك الفعلة المنصوص عليها من حيث بيان فحشها للأبصار والبصائر، ثم أتبع ذلك في السورة الثالثة بتفصيل بعض قبائح أفعالهم والتنصيص عليها، وجاء كله على ما يجب، ولم يكن ليناسب العكس وهذا على مقتضى ترتيب الفهرس للسور في القرآن الكريم، فجاء كل على ما يجب.

٧- وهناك تناظر أيضا في موقع آخر في سورة الأعراف، يتمثل في قوله تعالى: (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون(وفي سورة النمل: (أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون(فإنه لما زيد في تعنيفهم في النمل وتعريفهم بإتيانهم الفاحشة على علم بها، أو مع مشاهدة بعضهم بعضا وعدم استخفائهم بها، وذلك أقبح في المرتكب زيد في تعليل الإخراج التنصيص على (الآل) لأن قوله: (آل لوط)- نص في إخراج جميع مَنْ للوط عليه السلام من أهل من قوله: (أخرجوهم(بزيادة التنصيص الأعم بإزاء الأشد في التقريع فكان ذلك أجرى مع المعنى وما يعطيه السياق.(٣٧) وجاء كل ذلك على ما يناسب والله أعلم.

الخاتمة:

وبعد فقد كان هذا البحث محاولة للقيام بدراسة التراكيب النحوية ودلالاتها في الجملة الاسمية والفعلية في النصف الأول من الجزء العشرين من القرآن الكريم. وحيث قد أعانني الله جَلَّ جَلاَله على إتمامها أجدني قد توصلت من خلال عملي إلى جملة من النتائج التي ظهرت من البحث نفسه أوجزها في النقاط الآتية:

١. إن دراسة التراكيب النحوية دلاليا تساعد على التحليل الدقيق واستنباط الأحكام، وفهم المعنى والمقصود.
٢. إن تأمل التركيب النحوي يكشف عن بعد مهم جدا من أبعاد الإعجاز القرآني.
٣. التراكيب النحوية لها دلالات في مواضع وسياقات لا تؤدى إلا بها، وإن وضِع غيرها في موضعها يُغير المعنى ويؤدي إلى الخروج عن المقصود.
٤. إن عمل مقابلة للتراكيب النحوية بتراكيب أخرى مماثلة لها في مواضع أخرى من القرآن الكريم تكشف عن مدى التوافق أو الاختلاف في الدلالة وسبب ذلك، وتعين على فهم المقصود وتكشف عن معالم الإعجاز.

واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل مقبولا خالصا لوجهه، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع:

١ - النسفي: عبد الله، مدارك التنزيل و حقائق التأويل، تحقيق: يوسف بديوي و محيي الدين، ط١، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، دار الكلم الطيب، دمشق، ٦٢٤/٢.

٢ - الألوسي : أبو الفضل شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق محمد أحمد وعمر السلامي ، ط ١ ١٤١٥ هـ دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ، ٣٣٠/٢٠.

٣ - أبو السعود، : محمد ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار المصحف، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣٠٥/٦.

٤ - البقاعي : برهان الدين ،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ط١ ١٤١٥-١٩٩٥ ،دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ٤٥٦/٥.

٥ - ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ، ج٩، ص٢٩٣٤.

٦ - الزمخشري : أبو القاسم ، الكشاف ،تحقيق : محمد عبدالسلام شاهين ، ط٤ ،١٤٢٧- ٢٠٠٦ ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ٣٨٨/٣.

٧ - الرازي : محمد ، التفسير الكبير ، ط٢٣ ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ٢٢١/١٢.

٨- ابن عاشور: محمد، التحرير والتنوير، ١٩٩٧، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، ٨٠/١١.

٩ - المصدر السابق نفسه، ٦٣/٢٠.

١٠ - الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني، ٣٦٣/٦.

١١ - ابن عاشور، محمد، التحرير والتنوير، ٩٢/١٩.

١٢ – الرازي، محمد، التفسير الكبير، ٣٣٠/٦.

١٣ – ابن عاشور، محمد، التحرير والتنوير، ٢٨/٢٠.

١٤ – الشوكاني : محمد ،فتح القدير ،دار المعرفة – بيروت، ١٥٠/٤.

١٥ – الشافعي :محمد ،السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ،مطبعة بولاق القاهرة ،١٢٨٥ هـ ٧٣/٣.

١٦ –انظر: ابن عاشور، محمد، التحرير والتنوير، ٢٨/٢٠.

١٧ – البغدادي: علي، تفسير الخازن،١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م دار النشر : دار الفكر – بيروت / لبنان –، ٣٥٦/٣.

١٨ – ابن عاشور: محمد، التحرير والتنوير، ٨٢/١١.

١٩ – أبو حيان: محمد، البحر المحيط ، تحقيق: عادل عبد الموجود و علي معوض، و آخرين، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م ، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٣٤/٦.

٢٠ – الرازي: محمد، مفاتيح الغيب، ٤١٦/١٨.

٢١– الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ، ١٨٢/٤.

٢٢– ينظر الطبري : محمد، جامع البيان في تأويل القرآن،ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م ، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠ /٣٣. أبو حيان: محمد، البحر المحيط، ٢٣٤/٦.

٢٣– الأصفهاني: الحسين، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ١٨٠.

٢٤ – السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ، ط١ سنة النشر: ١٤٢٠ – ٢٠٠٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ٣٥/٤.

٢٥ – ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ٦/٢٠.

٢٦ – الزمخشري، محمود، الكشاف، ٣٦٢/٣.

٢٧ – طنطاوي : محمد ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،ط ١ دار نهضة مصر ، ٣٤١/١٠.

٢٨ – الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢٨٥/٢٠.

٢٩ – البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤٣٥/٥.

٣٠ – الزمخشري، محمود، الكشاف، ٣٧٠/٣.

٣١ – أبو حيان، محمد، البحر المحيط، ٢٦٥/٨. و: أبو السعود، العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٢٩٨/٦. و: السمين الحلبي : شهاب الدين ،الدر المصون ، تحقيق علي محمد معوض وآخرين ،ط١ ١٤١٤هـ١٩٩٤م ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،، ٦٣٨/٨. و: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٥/٢٠.

٣٢ – السامرائي، فاضل، أَسْرَارُ البَيَان في التعبير القرْآنيّ، ٢٥.

٣٣ –ابن عاشور: محمد، التحرير والتنوير، ٩٥/٢٠

٣٤ – ينظر، ابن عاشور: محمد، التحرير والتنوير، ٣٦٥/٢٢-٣٦٦.

٣٥ – السامرائي: فاضل، محاضرات لمسات بيانية، www. Albayan alqurany .com

٣٦ –الألوسي: محمود، روح المعاني، ٣٩٥/١١

٣٧ –الغرناطي: أحمد، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت،١٠٨/١-١٠٩

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2